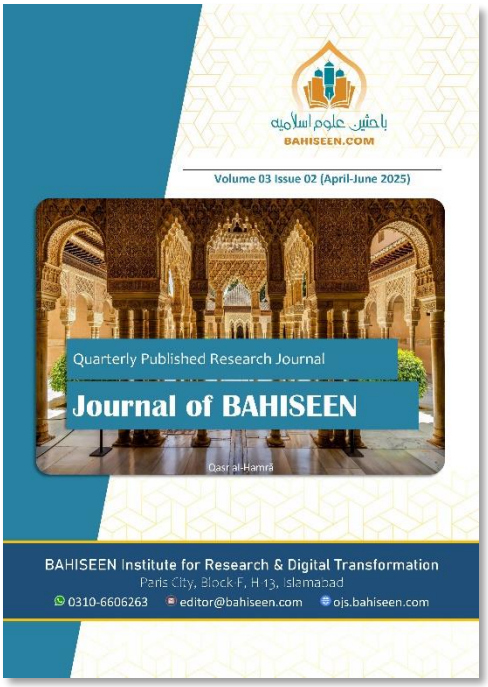


**Title**
Journal of BAHISEEN
**Issue**
Volume 03, Issue 02,
April -June 2025
**ISSN**
ISSN (Online): 2959-4758
ISSN (Print): 2959-474X
**Frequency**
Quarterly
**Copyright** ©
Year: 2025
Type: CC-BY-NC
**Availability**
Open Access
**Website**
ojs.bahiseen.com
**Email**
editor@bahiseen.com
**Contact**
+923106606263
**Publisher**
BAHISEEN Institute for
Research & Digital
Transformation, Islamabad

# عناية العلامة شبير أحمد العثماني رحمه الله بالبلاغة النبوية في فتح الملهم بشرح صحيح مسلم

# The Contribution of Allāmah Shabbīr Ahmad al- ʻUthmānī to the Study of Prophetic Eloquence in Fatḥ al-Mulhim, His Commentary on Ṣaḥīḥ Muslim

**Fawad Ali**
PhD Research Scholar at the Department of Hadith and its Sciences,
Faculty of Usooluddin, International Islamic University, Islamabad
**Dr. Iqrar Hussain**
Lecturer, Department of Islamic Studies,
Cadet College Razmak North Waziristan, KPK
Email: iqrarhussain52@gmail.com

## Abstract

This article investigates Allāmah Shabbīr Ahmad al-ʻUthmānī's engagement with prophetic eloquence (al-balāghah al-nabawiyyah) in his commentary Fatḥ al-Mulhim bi-Sharḥ Ṣaḥīḥ Muslim.The study employs critical textual analysis to examine al-ʻUthmānī's linguistic, rhetorical, and contextual approaches, with reference to his reliance on earlier authorities such as al-Nawawī, Ibn Ḥajar, and al-Bayhaqī, as well as his independent contributions. The analysis reveals that al-ʻUthmānī frequently transmits and synthesizes classical insights without major innovation. However, he occasionally offers original rhetorical observations that deepen the appreciation of prophetic discourse. His use of *asbāb al-wurūd* demonstrates methodological promise, though not applied consistently throughout the commentary.

The study concludes that al-ʻUthmānī's contribution lies chiefly in preserving and systematizing inherited scholarship, while providing limited yet meaningful original insights. His work underscores the importance of rhetorical analysis in ḥadīth studies and positions *Fatḥ al-Mulhim* as a transitional but valuable link in the broader trajectory of Islamic intellectual tradition.

**Keywords:** Rhetorical Analysis, Contextual Approaches, Prophetic Eloquence

## التعريف بالموضوع

إنّ البلاغة النبوية تحتلّ مكانةً بارزة في الدراسات الحديثية واللغوية، إذ تمثّل جانبًا من إعجاز السنة النبوية وبهائها البياني . وقد اعتنى العلماء عبر القرون بإبراز مظاهر الفصاحة والبلاغة في كلام النبي صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، سواءً في إطار الشروح الحديثية أو في المؤلفات البلاغية الخالصة. ومن بين هؤلاء الأعلام البارزين، يأتي العلّامة شبير أحمد العثماني رحمه الله صاحب كتاب فتح الملهم بشرح صحيح مسلم، الذي يُعَدّ من أهم الشروح المعاصرة لصحيح الإمام مسلم، حيث جمع فيه بين التحقيق الحديثي، والفقه الدقيق، والتحليل البلاغي للنصوص النبوية.

## مشكلة البحث

على الرغم من القيمة العلمية الكبيرة لكتاب فتح الملهم، فإنّ الدراسات التي تناولت جهود يأتي العلّامة العثماني رحمه الله غالبًا ما ركّزت على منهجه في الفقه والحديث، بينما لم تنل عنايته بالبلاغة النبوية ما تستحقه من بحث وتحليل .ومن هنا تبرز مشكلة البحث في التساؤل :إلى أي مدى اعتنى العلّامة العثماني بالبلاغة النبوية في شرحه للأحاديث؟ وما طبيعة إضافاته في هذا المجال مقارنةً بنقولاته عن الشراح السابقين؟

## أهداف البحث

يهدف هذا البحث إلى:

1) الكشف عن منهج العلّامة العثماني رحمه الله في إبراز الجوانب البلاغية في الأحاديث النبوية.
2) تحليل مدى أصالته في هذا الباب، وهل اقتصر على النقل عن الشراح السابقين أم قدّم إضافاتٍ مستقلة.
3) إبراز قيمة البلاغة النبوية في فهم السنة، وربطها بالمباحث الحديثية والفقهية.
4) المساهمة في إثراء الدراسات الحديثة حول فتح الملهم بإبراز جانبٍ قلّما أُفرد بالبحث.

## منهج البحث

يعتمد هذا البحث على المنهج الاستقرائي التحليلي؛ وذلك باستقراء نصوص فتح الملهم وتتبع المواطن التي تناول فيها المؤلف الجوانب البلاغية، ثم تحليلها ومقارنتها بما أورده الشراح المتقدمون كالإمام النووي، وابن حجر، والبيهقي رحمهم الله، وغيرهم .كما يُستعان بالمنهج النقدي في بيان مواطن القوة والقصور في معالجة العلّامة العثماني رحمه الله للبلاغة النبوية، مع محاولة إبراز إسهاماته الأصيلة في هذا المضمار.

## الخطة الإجمالية للبحث :

يتناول البحث إلى مقدمة ، ومباحثان ، وخاتمة ، وتفصيل ذلك على النحو التالي:

أما المقدمة : فتشتمل على التعريف بالموضوع ، مشكلة البحث ، أهدافه ، ومنهجه .

المبحثُ الأوّلُ : البلاغة النبوية في الحديث الشريف

المبحثُ الثاني : النماذج التطبيقية البلاغية في كتاب "فتح الملهم بشرح صحيح مسلم"

خاتمة : وفيها نتائج البحث و أهم التوصيات .

## المبحثُ الأوّلُ : البلاغة النبوية في الحديث الشريف

### أوّلاً : مفهوم البلاغة النبوية

قبل الخوض في صميم هذا الموضوع، لا بدّ من تمهيدٍ يُلقي الضوء على مفهومي البلاغة والفصاحة، وبيان الفرق بينهما، إذ إنّ كليهما من أهم غايات البيان، وأدوات التأثير في الخطاب.

**تعريف البلاغة:**فالبلاغة :هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال، مع حسن الإيجاز عند الحاجة، أو التوسعة غير المملّة عند الموضع، بحيث يُبلّغ المتكلم بكلامه كنه مراده على وجه بليغ مؤثر.[1]

**تعريف الفصاحة:**وأما الفصاحة :فهي خلوص اللفظ من التعقيد اللفظي، والتنافر الصوتي، وسوء التركيب، وهي صفة تُنسب إلى الكلمة والجملة على حدّ سواء.[2]

ويُقال: إنّ كل بليغٍ فصيحٌ، وليس كل فصيحٍ بليغًا، لأن البلاغة تجمع إلى الفصاحة حسنَ التراكيب، وتمام المطابقة لمقتضيات المقام.[3]

وقد بلغ كلامُ نبينا محمد صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ذروة الفصاحة، ومنتهى البلاغة، كما شهد له بذلك أئمةُ البيان وعلماء اللسان. قال السيوطي رحمه الله: "أفصَحُ الخَلقِ على الإطلاقِ سَيِّدُنا ومولانا رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، حبيبُ رَبِّ العالَمينَ جَلَّ وعلا".[4]

وقد أوتي رسول الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم جوامع الكلم، فكان إذا تكلّم قلّ كلامه، وعَذُب بيانه، وجُمل منطقه، ووضُح مراده، وكان يُحدّث حديثًا لو عَدَّه العادّ لأحصاه، ويُكرّر الكلمة ثلاثًا لتُفهم وتُضبط، ويُبسط العبارة إذا احتيج إلى التبيين، ويُوجز إذا كفى القليل.

وقد وصف الجاحظ رحمه الله كلام النبي صلَّى اللهُ عليه وسلَّم فقال: "هو الكلام الذي قلّ عدد حروفه، وكثر عدد معانيه، وجلّ عن الصنعة، ونُزّه عن التكلف، وهجر الغريب الوحشي، ورغب عن الهجين السوقي، فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة، ولم يتكلم إلا بكلام قد حُفّ بالعصمة، وشُيّد بالتأييد، ويسّر بالتوفيق، كلامٌ ألقى الله عليه المحبة، وغشّاه بالقبول، وجمع له بين المهابة والحلاوة، وبين حسن الإفهام وقلة عدد الكلام" [5].

وفي ذلك يقول الرافعي رحمه الله: " أن الكلام النبوي جامع مجتمع، لا يذهب في الأعم الأغلب إلى الإطالة بل كالتمثال, يأتي مقدرًا في مادته ومعانيه وأسلوب الجمع بينها وربط الصورة بالمعنى " [6].

وقد وقف العلماء والباحثون المتخصصون في الحديث النبوي عند الخصائص الأسلوبية واللغوية المتميزة لهذا الكلام المعصوم، فعدّوا من أبرز سماته:

- فصاحة الألفاظ،
- ووضوح التراكيب،
- وبعده عن التعقيد والتكلّف،
- وغزارة المعاني،
- وجمال الصور البيانية،
- وغِنى أساليبه بالمجاز والكناية،
- وسلامة سياقه من التناقض والاضطراب.

ولقد أثْرَتْ اللغة النبوية لسانَ العرب وأدبهم، ورفعت مستوى البيان العربي، واحتوت على ألفاظ وتراكيب لم يُسمع لها نظير في كلام السابقين.

قال الخطابي رحمه الله: " ومِنْ فصاحته أنه تكلم بألفاظ اقْتَضَبَها لم تُسْمَع من العرب قبله ولم توجد في مُتقدّم كلامها كقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (مات حَتْف أَنْفه) (وحَمِيَ الوطيس) (ولا يُلْدَغُ المؤمنُ من جُحرٍ مرّتين)".[7]

فهذه البلاغة النبوية لم تكن مجرّد حُسن في التعبير، بل كانت وسيلة للتربية والتعليم، والإقناع والتأثير، وترسيخ المفاهيم في القلوب والعقول.

## ثانيًا: خصائص البلاغة النبوية

تتميّز البلاغة النبوية بجملة من الخصائص، من أهمها:

1. **الإيجاز مع الإعجاز** :حيث تحمل ألفاظ قليلة معاني واسعة، كقوله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: " الدين النصيحة"[8].
2. **وضوح المعنى** :إذ كان خطابه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بلسان عربي مبين بعيدًا عن التكلّف.

3. **التناسب بين اللفظ والمعنى** :بحيث تأتي العبارة منسجمة مع مقتضى الحال والمقام.
4. **التأثير في النفوس** :إذ يقرع القلوب ويحرك الوجدان، وهو من أبرز وجوه البلاغة. (9)

## ثالثًا: عناية العلماء بالبلاغة النبوية في شروح الحديث

لم يغفل شُرّاح الحديث وأئمّة البيان عبر العصور عن إبراز الجانب البلاغي في النصوص النبوية، لما له من أثرٍ عظيم في كشف أسرار الخطاب النبوي وخصائصه الأسلوبية. وكان أوّل من لفت الأنظار إلى هذا الباب الإمام الجاحظ (ت 255هـ) في مصنّفه الشهير " البيان والتبيين"، حيث أشار إلى خصوصية البيان النبوي وجمال تراكيبه. ثم جاء الشريف الرضي (ت 406هـ)، العالم الأديب والشاعر، فألّف كتابه النفيس" مجازات النبوية" ، فخصّصه لبيان ما في
الأحاديث النبوية من دقائق المجاز وروائع الأسلوب.

كما أسهم أبو هلال العسكري (ت 395هـ) في تأصيل هذا المبحث من خلال كتابه " الصناعتين" ، حيث عرض نماذج بديعة من الأحاديث النبوية مبيّنًا ما فيها من استعارة وتشبيه وتمثيل وغير ذلك من ضروب البيان، مع بسطٍ واستشهادٍ يُظهر سعة اطلاعه وإدراكه. ثم برز بعده العلّامة ابن الأثير (ت 638هـ) في كتابه " المثل السائر "، فكان من أعمق ما كُتب في تحليل الأسلوب العربي، مع وقوفٍ طويل عند البيان النبوي. ولا يُغفل في هذا السياق جهد الزمخشري (ت 538هـ) في كتابه " الفائق في غريب الحديث "، الذي يُعدّ من عيون المصنّفات في الكشف عن دقائق الألفاظ النبوية وأسرارها البلاغية.

وفي جانب شُرّاح الحديث، خصّ الإمام الخطّابي (ت 388هـ) كتابه " بيان إعجاز الحديث" لإبراز محاسن الأسلوب النبوي ووجوه إعجازه، كما اهتمّ الإمام النووي (ت 676هـ) في "شرح صحيح مسلم" بالإشارة إلى وجوه الفصاحة والبيان عند الحاجة. وسار الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت 852هـ) في" فتح الباري" على منهجٍ قريب، مبرزًا كثيرًا من دقائق البلاغة في مواضع متعددة. وكذلك اعتنى العيني (ت 855هـ) في "عمدة القاري" بإبراز البيان النبوي، وعلّق على تراكيب الأحاديث بما يكشف عن عمقها البلاغي.

ومن خلال هذا المسار التاريخي يتبيّن أنّ عناية العلماء بالبلاغة النبوية لم تكن هامشًا ثانويًا، بل هي تقليد علمي راسخ، تتابع فيه الأئمّة من البلاغيين والشرّاح، فمهّدوا الطريق لكل من جاء بعدهم ليجمع بين علوم اللغة وعلوم السنة في إطارٍ متكامل. (10)

## رابعًا: أهمية دراسة البلاغة النبوية في فهم الحديث

إنّ الوقوف على بلاغة السنة النبوية لا يُعَدّ ترفًا علميًّا أو مجرّد بحثٍ أدبيٍّ منفصلٍ عن مقاصد الشريعة، بل هو من الأدوات الرئيسة التي لا غنى للباحث والمفسِّر عنها إذا أراد فهم النصّ الحديثي على وجهه الصحيح. فالكلمة النبوية ليست ألفاظًا مجرّدة، وإنما هي تراكيب محكمة صيغت بأسلوبٍ يجمع بين جزالة اللفظ، ودقّة المعنى، ومطابقة الحال.

والبلاغة في الحديث تُسهم في كشف مراد الشارع، إذ تُظهر دقّة التعبير، وسرّ اختيار الألفاظ دون غيرها، وتجلّي ما وراء النص من حكمٍ وأسرارٍ تشريعية وتربوية. ولذا فإنّ إدراك الخصائص البلاغية كالاختصار والإيجاز، والحصر والتوكيد، والتقديم والتأخير، والتكرار والمقابلة، لا يُعدّ مجرّد تذوّقٍ لغوي، بل هو مدخل أساس لفهم المعنى المراد واستنباط الدلالة المقصودة.

ومن هنا تبرز قيمة البلاغة النبوية في الدراسات الحديثية والفقهية، إذ تُسهم في رفع الالتباس، ودفع الإشكال، وتوضيح السياق الذي ورد فيه الحديث، كما تمنح الباحث قدرةً على التمييز بين الدلالة المباشرة للنص ودلالاته الإشارية أو الضمنية. وبذلك صارت البلاغة ركنًا مكمّلًا لعلوم الرواية والدراية، ووسيلةً لتحقيق الفهم المتكامل للنصّ النبوي، يجمع بين ظاهر اللفظ وروحه، وبين قواعد اللغة ومقاصد الشريعة. (11)

## المطلب الثاني : النماذج التطبيقية البلاغية في كتاب "فتح الملهم بشرح صحيح مسلم"

يُبرز العلامة العثماني رحمه الله في فتح الملهم بشرح صحيح مسلم عنايةً فائقةً بجوانب البلاغة النبوية، حيث يتجلّى ذلك من خلال استحضاره لمباحث البيان والبديع والمعاني أثناء شرحه للأحاديث الشريفة، مستنبطًا منها دقائق التعبير النبوي، وملامح الإعجاز البلاغي، ومواطن التأثير في النفوس والعقول .

وفيما يلي أعرض نماذج تطبيقية مختارة توضّح كيفيّة توظيف العلامة العثماني رحمه الله لفن البلاغة في خدمة شرح الحديث، وكشف أسرار البيان النبوي، ومقاصده السامية . وتجدر الإشارة إلى أن هذه النماذج المذكورة تُذكر على سبيل التمثيل لا على وجه الاستقراء التام، إذ لا تسع هذه الدراسة استقصاء جميع المواضع التي تناول فيها العلامة هذا الفن البليغ.

### النموذج الأوّلُ :

أَخرَج الإمامُ مُسلمٌ بسندهِ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ خَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ إِلَى قُبَاءَ حَتَّى إِذَا كُنَّا فِي بَنِي سَالِمٍ. وَقَفَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى بَابِ عِتْبَانَ فَصَرَخَ بِهِ، فَخَرَجَ يَجُرُّ إِزَارَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَعْجَلْنَا الرَّجُلَ» فَقَالَ عِتْبَانُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يُعْجَلُ عَنِ امْرَأَتِهِ وَلَمْ يُمْنِ، مَاذَا عَلَيْهِ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا الْمَاءُ مِنَ الْمَاءِ» [12].

**(قال العلامة العثماني أنّ)** : قوله : " **إِنَّمَا الْمَاءُ مِنْ الْمَاءِ** " الخ : قال الحافظ : " فيه جناس تام ، والمراد بالماء الأول : ماء الغسل ، وبالثاني : المني"[13]. وفي المشكاة [14]: قال ابن عباس : «إِنَّمَا الماءُ مِنَ الماءِ فِي الِاحْتِلَامِ» رواه الترمذي [15].[16]

### رأي الباحث حول النموذج المذكور:

قال العلّامة العثماني رحمه الله، في معرض شرحه لهذه الجملة النبوية الختامية: (إنما الماء من الماء): فيه جناس تامّ، والمراد بالماء الأول: ماء الغُسل، وبالثاني: المني".

وهذا التعليق المختصر يحمل في طيّاته رؤية بلاغية دقيقة، تكشف عن عناية العلّامة العثماني بالفروق اللفظية والأساليب البيانية في الحديث النبوي.

فالجناس التامّ هو من فنون البلاغة، ويعني اتفاق اللفظين في الحروف والشكل والوزن، واختلافهما في المعنى. ففي قول النبي صلى الله عليه وسلم" :إنما الماءُ من الماء" ، نجد كلمتي "الماء "متماثلتين في النطق، مختلفتين في المعنى:

- **الماء الأول** :ماء الغُسل.
- **الماء الثاني** :المني.

فكأن النبي صلى الله عليه وسلم قال بلُغة موجزة بليغة: "الغُسل لا يجب إلا عند نزول المني". لكن التعبير لم يأتِ بصيغة مباشرة، بل اختار النبي صلى الله عليه وسلم أسلوب الجناس التامّ، ليكون أوقع في السمع، وأبلغ في النفس، وأدعى إلى الحفظ والتأمل، وهذا من فصيح بل بديع كلامه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

### وفي الختام أقول :

من خلال هذه الإشارة الدقيقة إلى "الجناس التام"، يتبيّن لنا أن العلّامة العثماني رحمه الله:

1. لا يكتفي بذكر الحكم الفقهي، بل يتعمّق في البنية اللغوية والبلاغية للنصّ النبوي.
2. يربط بين الفقه والبيان، ويُظهر جمال الأسلوب النبوي في مقام التعليم والتوجيه.
3. ينتمي إلى طائفة من الشُّرّاح الذين يُقدّرون الإعجاز البياني للحديث كما يُقدّرون ما فيه من معانٍ شرعية.

**النموذج الثاني:**

أَخرَج الإمامُ مُسلمٌ بسندهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنْ الدُّنْيَا. (17)

**(قال العلامة العثماني أنّ)** : قوله : " **بِعَرَضٍ مِنْ الدُّنْيَا** " الخ : بفتحتين ، أي بأخذ متاع دنيّ وثمن رديء . قال الطيبي رحمه الله : "قوله صلى الله عليه وسلم : يصبح الرجل ...." الخ استئناف بيان بحال المشبه ، وهو قوله : "فتنا" وقوله : " يبيع ...." الخ : بيان للبيان (18) . (19)

**رأي الباحث حول النموذج المذكور:**

يتجلّى لنا من شرح هذا الحديث بوضوح أن العلّامة العثماني رحمه الله لم يكن يقتصر على عرض المعاني الظاهرة أو الأحكام الشرعية المستفادة من النصّ، بل كان ينفذ إلى الأبعاد البلاغية والأساليب التعبيرية النبوية، ويُظهر ما فيها من دقة التصوير وجمال البيان. كما نقل عن الإمام الطيبي رحمه الله قوله: "قوله صلى الله عليه وسلم: (يُصبح الرجل...) استئنافٌ لبيان المشبَّه، وهو قوله: (فتنًا) . وقوله: (يبيع دينه...) بيانٌ للبيان". وهو نقل في غاية الدقة البلاغية، يَكشف عن النسق البياني المحكم في هذا الحديث الشريف و تفصيل حسب ما يلي :

- أولاً: قوله "بادِرُوا بالأعمال "هو أمر يُفيد المسارعة قبل حلول الفتن.
- ثم جاء التشبيه" :فتنًا كقطع الليل المظلم"، وهو تشبيه تمثيلي بليغ يرسم في الذهن صورة الفتنة التي تُظلم فيها البصائر كما تُظلم فيها الأبصار في ظلمة الليل.
- ثم جملة" :يُصبح الرجل مؤمنًا"...، هي استئناف بياني يُفصّل هيئة هذه الفتن، ويُوضّح كيف أن شدّتها تؤدّي إلى تقلّب الأحوال وتبدّل القلوب في لحظة، وهو تصوير يرهب النفس ويهزّ القلب.
- وأخيرًا" :يبيع دينه بعرض من الدنيا"، وهو بيان للبيان، أي أنه يُفصّل السبب الجوهري لهذا الانقلاب، وهو الطمع في الدنيا والتضحية بالدين من أجلها.

وهذا التدرج في البيان: **تشبيه ← استئناف ← بيان ← بيان للبيان**

هو من روائع البلاغة النبوية التي قلّ أن توجد في غير كلامه صلى الله عليه وسلم.

**والحاصل :**

إنّ المتأمّل في شرح العلّامة العثماني رحمه الله لهذا الحديث يرى بجلاء:

1. **فهمًا عميقًا للّغة والبلاغة**، لا سيما في اختيار الألفاظ النبوية ودلالاتها.
2. **عناية خاصة بالتركيب البلاغي** والتدرّج البياني في الحديث الشريف.
3. **دمجًا بديعًا بين التحليل البلاغي والتوجيه التربوي والفقهي**، مما يجعل شرحه متفردًا بين الشروح.

ولهذا فإنّ منهجه يُعدّ نموذجًا راقيًا في تفسير الحديث النبوي، حيث يُراعي فيه جمال البيان، عمق المعنى، ومقاصد الشريعة، وهذه من أبرز مزايا فتح الملهم التي رفعت مكانته بين كتب شروح السنة.

**النموذج الثالث:**

أَخرَج الإمامُ مُسلمٌ بسندهِ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْتَقَى هُوَ وَالْمُشْرِكُونَ. . . وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ لَا يَدَعُ لَهُمْ شَاذَّةً إِلَّا اتَّبَعَهَا يَضْرِبُهَا بِسَيْفِهِ . . .فَجُرِحَ الرَّجُلُ جُرْحًا شَدِيدًا فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ بِالْأَرْضِ وَذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ . . . " (20)

**(قال العلامة العثماني أنّ)** : قوله : "**بين ثدييه** " الخ : هو تثنية ثدي بفتح الثاء ، وهو يذكر على اللغة الفصيحة التي اقتصر عليها الفراء وثعلب وغيرهما . وحكى ابن فارس والجوهري وغيرهما فيه التذكير والتأنيث . قال ابن فارس : الثدي للمرأة ، ويقال لذلك الموضع من الرجل : ثندوة وثندؤة بالفتح بلا همزة وبالضم مع الهمزة . وقال الجوهري : والثدي للمرأة وللرجل . فعلى قول ابن فارس يكون في هذا الحديث قد استعار الثدي للرجل ، وجمع الثدي أثد وثدي وثدي بضم الثاء وكسرها [21]. [22]

## رأي الباحث حول النموذج المذكور:

بيّن العلّامة العثماني أنّ لفظ "الثدي" وإن كان مشهورًا في اللغة للمرأة، فإنّ استعماله للرجل في هذا السياق هو من باب الاستعارة البيانية. حيث استعار لفظ الثدي للرجل مجازًا".

والقرينة في السياق واضحة، إذ لا يمكن أن يُفهم منه إلا موضع الصدر من الرجل، فاختيار النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهذا اللفظ في هذا الموضع يُضفي على المشهد حسّيّةً تصويريةً بالغة التأثير، وكأنّ الحديث يُصوّر المشهد تصويرًا دقيقًا حيًّا محسوسًا.

فالجملة: "فوضَعَ نصْلَ سيفِه بالأرض، وذُبَابَه بينَ ثديَيْه، ثم تحامل عليه فقتل نفسَه"، هي من أبلغ صور التصوير الحركي والدرائي في الحديث النبوي، حيث نُقِل المشهد للقارئ كأنه يراه أمام عينيه.

## تقويم الباحث لعناية العلامة العثماني بالبلاغة النبوية في "فتح الملهم"

بعد التأمُّل في النماذج التطبيقية التي استعرضها الباحث من كتاب فتح الملهم بشرح صحيح مسلم، يتبيّن بجلاء أنّ العلّامة العثماني رحمه الله لم يكن مجرد شارحٍ ينقل الأقوال أو يقتصر على المعاني الظاهرة والأحكام الفقهية، بل كان ذا حسّ بلاغيٍّ رفيعٍ، وذوقٍ بيانيٍّ دقيقٍ، واستيعابٍ فذٍّ لفنون العربية وأساليبها، جعله يُسهم في إبراز جماليات البيان النبوي.

لقد أظهر العثماني رحمه الله، في مواضع متعددة من شرحه، اهتمامًا بالغًا بجانب البلاغة النبوية، من خلال:

1. **تحليله للتركيب النبوي** تحليلاً يُراعي الطبقات الدلالية والتدرّج البياني في سياق الحديث.
2. **تبيينه للفنون البلاغية** كالجناس التام، والتشبيه التمثيلي، والاستعارة البيانية، وما يترتّب عليها من قوة التأثير وتمام البيان.
3. **عنايته بالسياق البلاغي العام للحديث**، بحيث يربط بين الجملة وموقعها في النسيج الكلي للنص، ويفسرها في ضوء مقصدها التربوي أو التحذيري أو التعليمي.
4. **إيراده لأقوال البلاغيين واللغويين القدامى** كابن فارس والفرّاء وثعلب والطيبي، مما يدلّ على سَعة اطّلاعه، وحُسن توظيفه للتراث البلاغي في خدمة النصّ النبوي.

ومن أبرز ما يُستخلص من نهج العثماني في هذا الباب:

- أنّه يمزج بين البلاغة والفقه، فلا يُغفل الأحكام الشرعية، ولا يتجاهل الجمال البياني، بل يعرض الحديث عرضًا متكاملًا يجمع بين "المقصد والمعنى"، و"الأسلوب والمبنى."
- كما أنه يعيد تشكيل نظرة القارئ للحديث الشريف، فلا يُلقي القارئ نظره على النصّ كما هو، بل يتذوقه ويتأمّله ويعيش في ظلاله.

وبناءً على ما سبق، يُمكن القول إنّ العلّامة العثماني رحمه الله يُعدّ من الشُّراح **الذين** جمعوا بين عمق الفقه، وقوّة البيان، ودقّة التحليل البلاغي، فجاء شرحه للحديث النبوي ليس مجرّد تفسيرٍ لألفاظه، بل كشفًا عن أسرار بلاغته، وإظهارًا لجمال نظمه، وتذوّقًا لرونق أسلوبه، وهي مزية علمية أصيلة قلّ من تحقّق بها في شروح الحديث.

ولهذا فإنّ الباحث يرى أنّ الوقوف على هذا الجانب في شرحه، يُمثل إضافة نوعية في الدراسات الحديثية والبلاغية المعاصرة، ويستحق مزيدًا من العناية والدراسة المستقلة.

## خاتمة البحث

بعد هذه الجولة في بيان عناية العلّامة العثماني رحمه الله بالبلاغة النبويّة في كتابه فتح الملهم، يتّضح أنّ جهوده في هذا الباب ليست مجرّد استطرادات لغويّة، بل هي معالجة علميّة مقصودة تهدف إلى إبراز خصائص الأسلوب النبويّ وربطه بالمقاصد التشريعية والتربوية.

### أوّلًا: النتائج

1. تبيّن أنّ العلّامة العثماني رحمه الله جعل البلاغة النبويّة جزءًا أصيلًا من شرحه للحديث، إدراكًا منه لأثرها في فهم النصّ الشرعي فهمًا صحيحًا.
2. أظهر العلّامة العثماني رحمه الله خصوصيّة جوامع الكَلِم في الحديث النبويّ، وربط الإيجاز النبويّ بالمقاصد التربويّة والبيانية.
3. جمع بين الدراسة البلاغية والتحليل الفقهيّ، فلم يجعل البلاغة غاية أدبية مستقلّة، بل وسيلة لزيادة الفقه بالنصّ وفهم الحكمة التشريعية.
4. استفاد من جهود العلماء السابقين كابن حجر والنووي والبيهقي رحمهم الله ، لكنه أضاف إليها رؤيةً تجديديةً، تبرز الطابع التربوي والعملي للبلاغة النبوية.
5. برز في منهجه الربط بين التراكيب البلاغية والمقاصد الشرعية، مثل أسلوب الحصر والنفي والشرط، حيث بيّن أثرها في تقرير الأحكام الشرعية.

### ثانيًا: التوصيات

1. ضرورة تسليط الضوء على البعد البلاغيّ في الحديث النبويّ عند الدراسات الأكاديمية، لما له من أثر عميق في الفقه والفهم.
2. الاهتمام بتحقيق ودراسة كتاب فتح الملهم من زاوية بيانية وبلاغية خاصة، فهو من المصادر المهمّة في إبراز جمال الأسلوب النبوي.
3. دعوة الباحثين إلى مقارنة منهج العثماني في هذا الباب بمناهج غيره من الشُرّاح كابن حجر والنووي، لاستجلاء عناصر الإبداع والتجديد عنده.
4. إدماج الدراسات البلاغية في المقررات الشرعية، حتى يتدرّب الطالب على الربط بين علوم اللغة وعلوم الحديث.
5. العناية بجمع النماذج البلاغية التي أشار إليها العلّامة العثماني رحمه الله في شرحه وتصنيفها وفق أبواب علم البلاغة (بيان، معانٍ، بديع) لتسهيل الاستفادة منها.

وبهذا، يظهر أنّ عناية العلّامة العثماني رحمه الله بالبلاغة النبوية تمثّل جانبًا مهمًّا من جهوده في خدمة الحديث الشريف، وتفتح آفاقًا رحبة للباحثين في الجمع بين العلوم الشرعية واللغوية على حدّ سواء.

## المراجع والمصادر


1. انظر (علم المعاني ، عبد العزيز عتيق (المتوفى: 1396 هـ) ، (ص : 1) ، ط : دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان ، الطبعة: الأولى، 1430 هـ - 2009 م ، عدد الأجزاء: 1 ، بتصرف
2. انظر (الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور) ، نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الجزري، أبو الفتح، ضياء الدين، المعروف بابن الأثير الكاتب (المتوفى: 637هـ) ، (ص : 77)، المحقق: مصطفى جواد ، ط : مطبعة المجمع العلمي، عام النشر: 1375هـ، عدد الأجزاء: 1، بتصرف
3. انظر (سر الفصاحة ، أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي (المتوفى: 466هـ) ، (ص : 59) ، ط : دار الكتب العلمية ، الطبعة: الطبعة الأولى 1402هـ_1982م ، عدد الأجزاء: 1، بتصرف
4. المزهر في علوم اللغة وأنواعها، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ) ، (1 / 165) ، المحقق: فؤاد علي منصور ، ط: دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى، 1418هـ 1998م ، عدد الأجزاء: 2
5. البيان والتبيين ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: 255هـ) ، (2/ 13) ، ط : دار ومكتبة الهلال، بيروت ، عام النشر: 1423 هـ ، عدد الأجزاء: 3
6. تاريخ آداب العرب ، مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (المتوفى: 1356هـ) ، (2/ 193) ، ط : دار الكتاب العربي ، الطبعة: (س – ن) ، عدد الأجزاء: 3
7. المزهر في علوم اللغة وأنواعها، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ) ، (1 / 165) ، المحقق: فؤاد علي منصور ، ط: دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى، 1418هـ 1998م ، عدد الأجزاء: 2
8. صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ) ، (1 / 74) ، رقم الحديث : 95 – (55) ، (باب بيان أن الدين النصيحة)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي ، ط : دار إحياء التراث العربي – بيروت ، عدد الأجزاء: 5
9. البلاغة في السنة النبوية ، دراسة تحليلية في الحديث النبوي ، الدكتوراة غزة محمد جدّوع ، (ص: 33) ، ط : مكتبة الرشد – الرياض) ، الطبعة الأُولىٰ : 1434 هـ)
10. البلاغة في السنة النبوية ، دراسة تحليلية في الحديث النبوي ، الدكتوراة غزة محمد جدّوع ، (ص: 42) ، ط : مكتبة الرشد – الرياض) ، الطبعة الأُولىٰ : 1434 هـ)
11. البلاغة في السنة النبوية ، دراسة تحليلية في الحديث النبوي ، الدكتوراة غزة محمد جدّوع ، (ص: 91 - 93) ، ط : مكتبة الرشد – الرياض) ، الطبعة الأُولىٰ : 1434 هـ)
12. صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ) ، (1 / 269) ، رقم الحديث : 80 – (343) ، (باب إنّما الماء من الماء)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي ، ط : دار إحياء التراث العربي – بيروت ، عدد الأجزاء: 5
13. فتح الباري شرح صحيح البخاري ، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، (1/ 398) ،ط : دار المعرفة - بيروت، 1379، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي ، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، عدد الأجزاء: 13
14. مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، أبو الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان محمد بن أمان الله بن حسام الدين الرحماني المباركفوري (المتوفى: 1414هـ) ، (2/ 128)، ط: إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء - الجامعة السلفية - بنارس الهند ، الطبعة: الثالثة - 1404 هـ، 1984م،
15. سنن الترمذي ، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ) ، (1 / 186) ، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي ، وإبراهيم عطوة عوض ، ط : شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر ، الطبعة: الثانية، 1395 هـ - 1975 م ، عدد الأجزاء: 5 أجزاء، [حكم الألباني] : صحيح دون قوله في الاحتلام

16. فتح الملهم بشرح صحيح الإمام مسلم : العلامة شبير أحمد العثماني ، (3 /148 - 149)، التخريج و الترقيم : نور البشر بن نور الحق ، مراجعة وتدقيق تكملة : محمود شاكر ، ط :دار احياء التراث العربى ، بيروت – لبنان ، الطبعة الاولىٰ : (1426 هـ – 2006م)

17. صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ) ، (1 / 110) ، رقم الحديث : 186 - (118)، (باب: الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط : دار إحياء التراث العربي – بيروت، عدد الأجزاء: 5

18. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى (المتوفى: 1353هـ) ، ط : دار الكتب العلمية – بيروت ، عدد الأجزاء: 10 ، (6 / 364)

19. فتح الملهم بشرح صحيح الإمام مسلم : العلامة شبير أحمد العثماني ، (2 /124)، التخريج و الترقيم : نور البشر بن نور الحق ، مراجعة وتدقيق تكملة : محمود شاكر ، ط :دار احياء التراث العربى ، بيروت – لبنان ، الطبعة الاولىٰ : (1426 هـ – 2006م)

20. صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ) ، (1 / 106) ، رقم الحديث : 179 - (112) ، (بَاب غِلَظِ تَحْرِيمِ قَتْلِ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ وَأَنَّ مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ عُذِّبَ بِهِ فِي النَّارِ وَأَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط : دار إحياء التراث العربي – بيروت، عدد الأجزاء: 5

21. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ) ، (2 / 124)، باب ذكر الخوارج و صفاتهم ، ط : دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة: الثانية، 1392 ، عدد الأجزاء: 18 (في 9 مجلدات

22. فتح الملهم بشرح صحيح الإمام مسلم : العلامة شبير أحمد العثماني ، (2 /117)، التخريج و الترقيم : نور البشر بن نور الحق ، مراجعة وتدقيق تكملة : محمود شاكر ، ط :دار احياء التراث العربى ، بيروت – لبنان ، الطبعة الاولىٰ : (1426 هـ – 2006م)